

استهداف مخيمون الفلسطينيين الثوري

اجتذبت المخيمون الفلسطينية اهتمام الوسائل الإعلامية على مدار الشهرين المنصرمين، في مشهدين مختلفين جذريين بجميع تفاصيلهما الظاهرة، الأول مشهد اعتداء جيش الاحتلال الصهيوني على مخيم حنين بداية الشهر المنصرم، والثاني مشهد الاقتتال داخل مخيم عين الحلوة في الشهر الحالي. لكن وعلى الرغم من اختلاف المشهدين، إلا أن هناك قواسم مشتركة بينهما، فكلًا المشهدين يعبران عن استهداف المخيمون من قبل أعداء المخيمون، أو بالأصح أعداء تحرير فلسطين وشعبها، فمخيمون الفلسطينيين قاطبةً نابضةٌ بخزانٍ بشريٍ لا ينضب، مستعدٌ دائماً لتقديم كل ما يملك في سبيل التحرر والتحرير الكامل، والعودة إلى أرض الوطن، فلسطين.

هذه ليست مجرد كلماتٍ خطابيةٍ عابرةٍ، بل هي تعبيرٌ حقيقي عن واقع المخيمون الفلسطينية، وعن دورها النضالي منذ بداية النكبة المستمرة منذ 1948، إذ رفدت مخيمون دول الطوق حركة التحرر الوطنية بمئات الفدائيين منذ بداياتها في ستينات القرن المنصرم. كما قدّمت المخيمون داخل فلسطين آلاف الفدائيين والمناضلين والشهداء على مدار سنوات الاحتلال الطويلة، خصوصًا في الانتفاضتين الأولى والثانية. لذلك تميز سكان المخيمون الفلسطينية بالشجاعة والفدائية، وباتت المخيمون رمزًا للصمود والتصدي داخل الوطن وخارجه، ليس في المخيلة الفلسطينية فقط، بل في مخيلة شعوب المنطقة قاطبةً، وهو ما حوّل مخيمون دول الطوق، ولا سيّما في سورية إلى حاضنةٍ سياسيةٍ للنشاط السياسي والنضالي الثوري؛ فلسطينيًا كان أم سوريًا، وهنا مكن خطورتها، وسبب استهدافها المتكرر من قبل القوى والنظم الرجعية والاستبدادية والنهبية.

إنّ ثورية المخيمون وفدائية قاطنيتها حوّلتها إلى أهدافٍ أمينةٍ وعسكريةٍ للاحتلال الصهيوني أولاً، ولأنظمة دول الطوق قاطبةً ثانيًا، لذا حاصرها النظام السوري مراتٍ عدةً، وقصفها بشتى أنواع القنابل والمتفجرات، وزرع فيها تنظيماتٍ فلسطينيةً ظاهريًا وأمنيةً مضمونًا تدين بالولاء له وحده، أبرزها الجبهة الشعبية القيادة العامة، وفتح المنشقين. في حين حاصرت الدولة اللبنانية مخيمون الفلسطينيين وطوقتها بقواتها الأمنية، كما فرضت تأشيرةً أمنيةً خاصةً بدخول المخيمون من غير ساكنيه، وكأنها سجونٌ خطيرةٌ أو

ربّما سريةٌ. أما الاحتلال الصهيوني فقد استهدف؛ وما زال، كلّ المخيّمات الفلسطينية؛ داخل فلسطين وخارجها، بأقوى القذائف، كما حاول حصارها مراتٍ عديدةٍ، وتكبدت قواته العسكرية والأمنية خسائر فداحةٍ ومتكررةٍ، نتيجة محاولات المتكررة اقتحام المخيّمات، كما في مخيّم جنين الشهر الفائت، وكما تشهد مخيّمات غزة وبلاطة، وسواها من المخيّمات.

لذا لا يبدو ما حدث؛ وربّما ما زال، في مخيّم عين الحلوة مجرد صراعٍ على النفوذ والسيطرة، بقدر ما يمثل جزءًا من مخطط استهداف المخيّمات، وتقويض طاقتها الثورية والتحررية، بوسائل وأدواتٍ مختلفةٍ، إذ لم يكتفِ أعداء الحرية بتدمير المخيمات وحصارها، ولا بتفجير ساكنيها، ودفعتهم قسرًا نحو الهجرة إلى دولٍ بعيدةٍ، بغرض تأمين أبسط حقوقهم الإنسانية، بل يحاولون بكلّ جهودهم تصفير طاقات المخيّمات الثورية، عبر حرفها عن بوصلتها الثورية أولاً، وتفريغ المنظّمات الفلسطينية من أساسها الثوري والتحرري ثانيًا، ومن خلال زرع بذورٍ فاسدةٍ متطرّفةٍ ومتخلّفةٍ ثالثًا، تعمل على حرف الوعي التحرري الوطني والاجتماعي نحو مفهومٍ مشوهٍ يدعوا إلى مجابهة التطوّر والعلم والعدالة والمساواة، بل والحرية الوطنية والاجتماعية.

الواضح هنا؛ أنّ دخول هذه المجموعات المتطرّفة والرجعية إلى حارات المخيّم عملٌ ممنهجٌ ومدرّسٌ، وهو ما يدل عليه إمكاناتها العسكرية والمالية وقدراتها على كسر حصار المخيّم والولوج إليه، فضلًا عن تدريب عناصرها وسواها من الأمور اللوجستية. وهو ما يخدم مصالح الاحتلال الصهيوني، عبر إغراق المخيمات بمشاكل عويصةٍ، وإشغال ساكنيها بأزماتٍ يوميةٍ، من تأمين لقمة العيش، والبحث عن فرصة عملٍ أو دراسةٍ، وسواها من الأزمات المفتعلة بفعل سياسات النظم العنصرية والفاصلة والنهبية.

لذا يعتبر كاتب المقالة أنّ أحداث مخيم عين الحلوة وسواها من مخيمات الشتات مرتبطةٌ باعتداءات الاحتلال الصهيوني على كلّ المخيّمات، وتحديدًا على المخيّمات داخل فلسطين في الآونة الأخيرة، لأنّها جزءٌ من تقويض ثورية المخيّمات وإبعادها عن مشروعها الرئيسي، المتمثّل في تحرير فلسطين والعودة إليها وإلى مدنهم وقراهم وأراضيهم التي هجروا منها قسرًا، على يد الاحتلال وعصاباتة الإجرامية.

حيان جابر

المصدر: صحيفة العربي الجديد